

(٣) النقد وتاريخ الأدب

غير أن منذ اختفت البلاغة في التلخيصات والحواشي والشروح لم يحل مكانها شيء موضوعي في باب اللغة ، يعول عليه في بحث الآثار الأدبية من شعر وقصة ومسرحية ، فقد سلطت الأضواء ، كما يقال في التعبير الحديث ، على النقد وتاريخ الأدب ، وبعدت معهما على اللغة الشقة ، بعد أن أوغل كلاهما في طريقه ، مزهواً بالمعارف التي انتهت إليه من العلوم الأخرى .

وتاريخ البحث الأدبي الذي ليس هاهنا مجاله هو تاريخ القطيعة بين اللغة والأدب ، كل منها يمضي في طريقه : اللغة بمبتها وصرفها ونحوها والأدب بتراجم أعلامه ومواليدهم ووفياتهم ، ثم تجاربهم ما كذب عنها وما صدق ، وأحوالهم ما حسن فيها وما ساء ، والعصور التي أظلمت والبيئات التي أقلتهم ، وإذا عرض بعد شيء في الأسلوب كان بحثه عن طريق شخصياته مع ما يظاهر ذلك مما يسمى بالخصائص الفنية !

وإذا كان تاريخ الأدب قد خاض في التاريخ ، بشتى فروعه من السياسة إلى الاجتماع ، ومن الاقتصاد إلى غيره ، فإن النقد كان في جوهره ذاتياً يحوم حول القضايا والموضوعات والأغراض ، والعواطف والخيال ، ولا يصيب من اللغة إلا القليل .